معجزة الإسراء والمعراج: دروس وفوائد

محمد رشيد زاهد

قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش.

ملخص البحث

إن معجزة الإسراء والمعراج حادثان عجيبان خارقان للعادة، لا يخضعان لنواميس الطبيعة، فيهما دروس وعبر وحكم وفوائد متنوعة لا تعد ولا تحصى على مر العصور وكر الدهور. فحاولت في هذه المقالة أن أبرز هذه الجوانب المتعلقة بالدروس والفوائد فأولا: ذكرت في المقدمة أهمية هذا الموضوع ودراسته ومفهوم الإسراء والمعراج وأدلة ثبوتهما من القرآن والسنة وأنهما كانا في اليقظة بجسده وروحه. ثانيا: بينت أهم الدروس والفوائد المستنبطة منهما في خمسة مباحث.المبحث الأول: الدروس و الفوائد المتعلقة بالعقيدة، والمبحث الثاني: الدروس و الفوائد المتعلقة بالفقه، المبحث الثالث: الدروس و الفوائد المتعلقة بسيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم– المبحث الرابع: الدروس و الفوائد المتعلقة بالآداب، المبحث الخامس: الدروس و الفوائد المتعلقة بالفضائل والفوائد العامة، وفي الأخير ذكرت نتائج البحث وثمراته.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صاحب المعجزات الخالدات، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد اقتضت مشية الله و حكمته إرسال الأنبياء والرسل إلى الناس مؤيدين بمعجزات خارقة لتكون تصديقا لهم فيما يبلغون عن رسالاته، فكانت معجزة الإسراء والمعراج من أجل المعجزات وأعظم الآيات، التي تفضل بها الله – سبحانه وتعالى– على نبيه وحبيبه محمد — صلى الله عليه وسلم– لتدل على صدق رسالته ونبوته، ولأهمية هاتين المعجزتين فقد ذكر الله سبحانه في موضعين من كتابه الكريم، أولا– وردت سورة باسم هذه المعجزة وهي سورة

دراسات الجامعة الإسلامية العالمية
المجلد ١٤، ديسمبر ٢٠١٨م
ص. ٤٩–٦٦
IIUC ©
ISSN 1813-7733

الإسراء، والتي بدأها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى...﴾ الآية الأولى من سورة الإسراء، وثانيا: وردت آيات في سورة النجم تشير إلى معجزة المعراج، ففيهما مشاهدات عظيمة وآيات باهرة، يتعلم منها المسلم كثيرا من الدروس والعبر والفوائد، فحاولت في هذا البحث الوجيز إثبات هاتين المعجزتين من خلال إتيان الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة، وما يستفاد منهما فوائد عديدة ما يتعلق بتصحيح العقيدة والإيمان بالغيب وبالفقه الإسلامي وبسيرة الرسول الحميدة، والآداب والأخلاق الفاضلة التي تتعلق بحياتنا اليومية، وغير ذلك من الفوائد المهمة، التي فيها زاد للمسلمين جميعا. فأولا: أذكر مفهوم الإسراء والمعراج وأدلة ثبوتهما.

أولا: مفهوم الإسراء والمعراج

مفهوم الإسراء لغة:

الإسراء مصدر من باب إفعال (أسرى): وهو يدل على سير عامة الليل و كما يقال أسراه وأسرى به و حسب المعنى الثاني ورد بها القرآن المجيد، وذهب جمهور العلماء من أهل اللغة إلى أن سرى وأسرى يأتيان بمعنى واحد. وفرق بعض اللغويين بينهما ١. أسرى بمعنى سار من أول الليل. و٢. سرى: سار من آخره.[١] وقال الإمام الجوهري: وسريت وسرى ومسرى وأسريت بمعنى إذا سرت ليلا، وبالألف لغة الحجاز، وجاء القرآن بهما جميعا وإنما قال تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده... ﴾ وإن كان السرى لا يكون إلا بالليل للتأكيد كقولهم: سرت أمس نهارا والبارحة ليلا أسريت[٢].

مفهوم الإسراء اصطلاحا:

هو إذهاب الله نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بإيليا – مدينة القدس المعروفة – في جزء يسير من الليل ثم الرجوع من تلك الليلة [٣].

مفهوم كلمة "المعراج" لغة:

كلمة "المعراج" تأتي لغة معان، منها جاءت بكسر الميم، وقال ابن الأثير: المعراج بالكسر شبه السلم مفعال من العروج أي الصعود كأنه آلة له، وهذا مأخوذ من لفظ عرج يعرج (مصدره عروجا)

إذا صعد، ومما يظهر أن المطلوب به العروج استعمالا لاسم الآلة من حيث المعنى المصدري وهو العروج[٤].

مفهوم المعراج اصطلاحا:

عرفه بعض العلماء: هو إصعاد نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– من المسجد الأقصى ببيت المقدس إلى السموات السبعة، وما فوقها حيث فرضت هناك الصلوات الخمسة، ثم الرجوع إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس في جزء من نفس الليل[٥].

الأدلة على ثبوت معجزة الإسراء والمعراج:

حادثة الإسراء ثابتة بالقرآن وبكثير من الأحاديث الصحيحة الواردة،كما ورد في القرآن قال الله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [الإسراء: ١]

الأحاديث الواردة حول معجزة الإسراء والمعراج:

فقد روي حديث الإسراء والمعراج عن الكثير من الصحابة – رضوان الله عليهم– وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون، وخرجها الأئمة من المحدثين و المفسرين في كتبهم.

قال العلامة ابن كثير في تفسيره: وقد تواترت الروايات حول حديث الإسراء عن سيدنا عمر بن الخطاب، وعن سيدنا علي، وعبد الله بن مسعود، فالحديث الذي ورد حول حادثة الإسراء اتفق عليه علماء المسلمين، والزنادقة والملحدون قد أعرضوا عنه فقط. الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم[٦]. روى الشيخان في صحيحيهما بالسند المتصل عن قتادة، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصة – واللفظ للبخاري – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدثهم عن ليلة أسرى به،قال ": بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر، فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي... "[٧]. هذا حديث طويل رواه الشيخان وغيرهما من أئمة الحديث لم أذكر كله خوف الإطالة.

يرى بعض العلماء أن المعراج وإن لم يثبت بالقرآن الكريم صراحة ولكنه أشير إليه في سورة النجم في قوله تعالى:

﴿ ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى،إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى،لقد رأى من ءآيت ربه الكبرى﴾ [سورة النجم: ١٨-١٣] فقد روى عن ابن مسعود والسيدة عائشة – رضى الله عنهما – أن المرئي هو جبريل [٨]– رآه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على هيئته التي خلق عليها ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين: الأولى وهو نازل من غار حراء والثانية ليلة المعراج[٩].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره [١٠] ما خلاصته:

وقد رأى محمد – صلى الله عليه و سلم– جبريل – عليه السلام – على صورته التي خلق الله عليها مرتين: الأولى عقب فترة الوحي، والنبي – صلى الله عليه وسلم – نازل عن غار حراء، فرآه على صورته الأصلية، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل، وإليه أشار بقوله: ﴿علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى، ثم دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [سورة النجم: ١٠-٥] [١١]

والثانية: ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، وهي المشار في سورة النجم بقوله: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ [النجم: ١٤-١٣]

هل حدث الإسراء والمعراج بالجسد والروح ؟

اختلف العلماء حول هذا الموضوع، ولكن مذهب جمهور العلماء– سلفا وخلفا –أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اليقظة بجسد النبي وروحه – صلى الله عليه وسلم – وهذا يفهم من قوله تعالى في بداية سورة الإسراء " بعبده ". والعبد يطلق على الجسد والروح جميعا، ومن هنا يفهم أن حادثة الإسراء و المعراج لم تحدث إلا بالروح و الجسد. ووردت حول ذلك الأحاديث الصحيحة الكثيرة. والنصوص تدل على ظواهرها ما لم يقم دليل آخر على صرفها عن ظاهرها وأنى هو ؟ وفي الأحاديث الصحيحة أنه شق صدره الشريف، وركب البراق، وعرج به إلى السماء، ولاقى الأنبياء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وأن الله كلمه، وأنه صار يرجع بين موسى –عليه السلام – وبين ربه عز وجل مما يؤكد أنهما كانابجسده الشريف وروحه وينفى ما عدا ذلك[١٢].

مناقشة أدلة القائلين بأنهما كانا بالروح:

ذهب البعض من أهل العلم إلى أنهما كانا بالروح فقط. وينسب هذا القول إلى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وسيدنا معاوية – رضي الله عنه – ورووا حول هذا عن عائشة أنها قالت: " ما فقدت [١٣] جسد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن أسرى بروحه "

وما يظهر بالدراسة بأن هذا الحديث غير ثابت، حيث ضعفه القاضي عياض في " الشفاء "[١٤] من حيث السند والمتن وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع. ومما يدل على ضعفه هذا الأثر ويرده أن عائشة لم تكن حينئذ قد دخل بها النبي، فإن من القول المتفق بين المحدثين أن نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يبن بها إلا بعد الهجرة إلى المدينة وإن خطبها قبلها بسنة واحدة، وقيل: قبل سنتين. ويرد ذلك أيضا أن الثابت عنها أنها كانت تنكر على من يقول: أن محمدا رأى ربه ليلة المعراج، وتستدل بآيات من الكتاب الكريم على حسب اجتهادها وفهمها، فلو ترى هذا الرأي الذي نسبوه إليها زورا لكان أقرب شيء في ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن بجسده، ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك، وأيضا فإنه ما روي عن معاوية غير صحيح، وهو حين الإسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد، ولو سلمنا ما نسب إليهما –جدلا – فظواهر القرآن والسنة الصحيحة ترده[١٥].

مناقشة أدلة القائلين بأنهما كانا مناما:

وأبعد الأقوال من ذهب إلى أنهما كانا في حالة المنام، و هؤلاء يستدلون على آرائهم بالآيات القرآنية الآتية: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقالوا: إن هذه الآية تشير إلى حادثة الإسراء والمعراج، والرؤيا إنما تطلق على حالة المنامية لا البصرية، وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية، من رواية ابن عباس حول تفسيرها: وهي رؤية عين أريها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة أسرى به، والشجرة الملعونة شجرة الزقوم، رواه البخاري في صحيحه [١٦] والترمذي والنسائي أيضا في سننهما، والمراد عند ابن عباس – برؤيا العين – جميع ما شاهده و عاينه – صلى الله عليه وسلم– ليلة أسرى به من العجائب السماوية والأرضية. كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضا. و بعض المفسرين يرى أن الآية المذكورة نزلت عام صلح الحديبية لأجل رؤيا رسول الله –صلى الله عليه

وسلم – أنه دخل المسجد الحرام، و حسب هذا التفسير لا تكون الآية دليلا له أبدا، ولكن القول الصحيح هو القول الأول [١٧].

وأيضا لو كان الإسراء والمعراج في المنام لم يكن فيهما شيء يستعظم، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب الرسول والتعجب مما قال، ولما ارتد بعض ضعفاء الإيمان، إذ كثير من الناس يرون في منامهم مثل ذلك، فيرى الرأي أنه ذهب إلى أقصى المعمورة أو صعد إلى السماء فاستبعادهم لذلك ومسارعتهم إلى تكذيب النبي عقب إخباره لهم من أظهر الأدلة على أنهم فهموا من إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم– أنهما كانا في اليقظة لا في المنام.

والإمام ابن القيم أوضح الفرق بين كونهما بالروح وكونهما مناما، فقال: " ومما ينبغي أن يعلم أن بعض الكاتبين في معجزتي – الإسراء والمعراج – يخلط بين قول من يقول: كانا مناما، وقول من يقول: كانا بالروح، وبينهما فرق، فمن كان قال كانا بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هي التي انتقلت وجالت في هذه المعاني المقدسة في الأرض والسماء، وأما من قال في المنام فإنما أراد حدوث صور وانكشافات للروح فيما وراء الحسن من عالم الغيب من غير انتقال ومفارقة للبدن[١٨].

متى كان الإسراء والمعراج؟

يكاد يجمع العلماء المحققون على أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة المحمدية، وأنهما كانا في اليقظة لا في المنام. وذهب البعض إلى أنهما كانا قبل الهجرة بسنة وإلى هذا ذهب الزهري وعروة بن الزبير وابن سعد وادعى ابن حزم الإجماع على هذا وقيل قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث [١٩]. والذي عليه الأكثرون والمحققون من العلماء أنهما كانا في شهر ربيع الأول، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في رجب، وهو المشهور بين الناس اليوم. والذي تركن إليه النفس بعد البحث والدراسة أنهما كانا في شهر ربيع الأول في ليلة الثاني عشر منه أو السابع عشر منه، وقد ذكر ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية " أثرا عن جابر وابن عباس – رضي الله عنهما– يشهد لذلك، قال: " ولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر " ثم قال وقد اختاره الحافظ عبد

الغني بن سرور المقدسي في سيرته وقد أورد هنا حديثا لا يصح سنده: أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين منه، والله أعلم[٢٠].

ثانيا: أهم الدروس والفوائد المستنبطة من معجزة الإسراء والمعراج

المبحث الأول: الدروس والفوائد المتعلقة بالعقيدة:

١. إن خبر معراج النبي- صلى الله عليه وسلم – إلى السماء يعتبر أحد الأدلة القطعية على علو الله – عز وجل- المطلق على خلقه فهو – سبحانه وتعالى- عال على خلقه مستو على عرشه بائن من خلقه على الوجه اللائق به من غير تشبيه، ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل[٢١].

٢. إن حديث المعراج يعتبر أحد الأدلة الثابتة الصحيحة في إثبات صفة الكلام لله عز وجل على الوجه اللائق به، حيث كلم عبده ورسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم- وراجعه النبي – صلى الله عليه وسلم- حتى خفف عن أمته من خمسين إلى خمس" حيث قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة" [٢٢] ومن فقه الإمام البخاري أنه ذكر في صحيحه في كتاب التوحيد" باب قوله: وكلم الله تكليما ثم ذكر فيه حديث الإسراء"[٢٣].

٣. إن من أنواع الوحي أن يكلم الرب—سبحانه وتعالى— عبده ورسوله ونبيه بدون واسطة وهذا كما وقع لموسى—عليه وسلم—ووقع للنبي—صلى الله عليه وسلم—في ليلة الإسراء والمعراج[٢٤].

٤. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى في رحلته السماوية الجنة ودخلها ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.[٢٥] وكما جاء في الحديث الصحيح ما نصه:" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى أصنافا من أهل النار يعذبون فيها" [٢٦]. وهذا أحد الأدلة الكثيرة الثابتة بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن كما هو المذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، قال الإمام الطحاوي: " والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق[٢٧].

٥. إن قوله: عليه السلام في حديث الإسراء " ثم أدخلت الجنة..."[٢٨] يدل على أن الجنة في السماء، وهذا ما حكاه الإمام النووي وغيره وهو مذهب أهل السنة والجماعة[٢٩].

٦. إن الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم ير ربه في ليلة الإسراء، وأن معنى قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى﴾ [النجم:١٣-١٤] إنما هو جبريل، وقد حكى الإمام الدارمي من اتفاق الصحابة–رضي الله عنهم– أنه لم يره[٣٠]. وأما ما ورد عند البخاري من رواية شريك بن عبد الله من قوله " حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى" حتى كان قاب قوسين أو أدنى [٣١] فهذا من أوهام شريك وتخليطه، قال الإمام ابن كثير نقلا عن الإمام مسلم: " فإن شريك بن عبد الله بن أبي النمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه"[٣٢].

٧. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – شاهد في معراجه أسوده عن يمين آدم وعن شماله وهي نسم بنيه، والمراد من أهل اليمين أهل الجنة ومن أهل الشمال أهل النار ؛ ولذلك قال الإمام الطحاوي " وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه[٣٤]. وهذا لا يعني عدم العمل فالمسلم مطالب بالعمل وكل ميسر لما خلق له.

٨. إن هذه المسألة – مسئلة الإسراء والمعراج – يجب الإيمان بها وهي داخلة في المسائل العقدية كما قال الإمام الطحاوي: "والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي – صلى الله عليه وسلم – بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا[٣٥].

٩. إن رؤية النبي–صلى الله عليه وسلم للأنبياء–عليهم السلام– في السماوات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض–غير عيسى عليه السلام–لا إشكال فيها، فإن أرواحهم تشكلت بصورة أجسادهم لملاقاته–صلى الله عليه وسلم – في تلك الليلة تشريفا وتكريما له[٣٦].

١٠. لا توجد رواية صحيحة صريحة في تحديد ليلة الإسراء مع اتفاق النصوص الصريحة على أنه وقع قبل الهجرة النبوية، وقد ذكر الإمام القرطبي اختلاف العلماء في تاريخ الإسراء وعدم اتفاقهم على تحديد معين[٣٧]. ومن ثم ينبغي التنبيه على أن ما يقوم به بعض المسلمين من عمل احتفال في ليلة السابع والعشرين من رجب أو غيرها زاعمين أنها ليلة الإسراء والمعراج كل ذلك لا ينبغي ؛ لأنه لم يثبت ذلك عن سلف هذه الأمة والاحتفال بالإسراء والمعراج من الأمور البدعية[٣٨].

المبحث الثاني: الدروس والفوائد المتعلقة بالفقه

١. إن المسجد الحرام يطلق عليه أيضا مسجد الكعبة لرواية أنس، ليلة أسرى برسول الله — صلى الله عليه وسلم — من مسجد الكعبة[٣٩].

٢. إن ماء زمزم يعتبر من أفضل المياه على وجه الأرض وأزكاه؛ ولذلك أختير لغسل جوف النبي — صلى الله عليه وسلم — قبل رحلته إلى السماء فكم في هذا الماء من أسرار وحكم لا يعلمها إلا الله — عز وجل — ولهذا كره جماعة من العلماء الغسل به دون الوضوء[٤٠].

٣. إن أول عمل يقوم به المسلم عند دخول المسجد هو صلاة ركعتين؛ ولذلك قال عليه السلام: " ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين"[٤١] وقال عليه الصلاة والسلام:"إذا دخل أحد كم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس"[٤٢]. إلا المسجد الحرام إذا دخله المسلم، يبدأ بالطواف فهوتحيته[٤٣].

٤. عظيم منزلة الصلاة حيث فرضت علي النبي — صلي الله عليه وسلم– وهو في السماء بدون واسطة قال صلى الله عليه وسلم: " فلم أزل أرجع بين ربي – تبارك تعالى — وبين موسى – عليه السلام– حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة"[٤٤]، لذلك فهي عماد الدين ووصية رسول رب العالمين (الصلاة الصلاة...) وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة مودعا هذه الحياة الدنيا[٤٥].

٥. إن من فضل الله العظيم على هذه الأمة أن كتب لها بكل صلاة واحدة عشر صلوات ؛ ولذلك قال الرب عز وجل لنبيه: " يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة"[٤٦]. فهي خمس صلوات فرضا وخمسون وزنا فلله الحمد والمنة.

٦. إن الخمر تعتبر أم الخبائث، وأنها علامة على الغواية ؛ ولذلك لما عرض على النبي — صلى الله عليه وسلم — ليلة الإسراء إناءان كانا في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، أخذ اللبن فقيل له:" أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك" [٤٧] قال الإمام النووي: " أما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل"[٤٨].

٧. قال القاضي عياض—رحمه الله—عند قوله عليه السلام:" فإذا أنا بإبراهيم–عليه السلام–مسندا ظهره إلى البيت المعمور " يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها[٤٩].

المبحث الثالث: الدروس والفوائد المتعلقة بسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم–

١. إن هذه الحادثة معجزة عظيمة من معجزات المصطفى – صلى الله عليه وسلم – الدالة على رسالته ونبوته، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة[٥٠].

٢. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – تنام عيناه ولا ينام قلبه لحديث أنس:" وتنام عيناه ولا ينام قلبه " وهذا من خصائصه دون أفراد أمته[٥١].

٣. إن شق صدر النبي– صلى الله عليه وسلم – حصل له مرتين الأولى في سن الطفولة، والثانية في زمن الرسالة[٥٢].

٤. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – يعتبر من أنظف البشر حسا ومعنى، وأنه طاهر مطهر قال أنس: " فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه" [٥٣]

٥. إن النبي _ صلى الله عليه وسلم – حمل من مكة إلى بيت المقدس على البراق " وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه " [٥٤]

٦. لقاء النبي– صلى الله عليه وسلم– في رحلته السماوية بجمع من الأنبياء – عليهم السلام– [٥٥]، وكل هؤلاء يرحبون بالنبي المصطفى ويدعون له بالخير والبركة.

٧. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى جبريل عليه السلام مرتين على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، المرة الأولى في الأفق الأعلى تحت السماء الدنيا[٥٦]. والمرة الثانية وقعت في السماء السابعة عند سدرة المنتهى كما قال الله تعالى: ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ [النجم: ١٤–١٣] [٥٧]

٨. إن أشرف وصف النبي – صلى الله عليه وسلم– هو وصف العبودية ؛ ولذلك ذكر الله – عز وجل – نبيه بهذا الوصف في سياق هذا الحدث فقال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده... ﴾ [الإسراء: ١] ولذلك قال العلماء: لو كان للنبي – صلى الله عليه وسلم– اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية[٥٨].

٩. إن الله –عز وجل– قرب نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم– إليه عند عروجه إلى السماء حتى بلغ منزلة عظيمة لم يشاركه أحد في هذه المنزلة، وقد عد بعض العلماء هذا القرب من خصائصه – صلى الله عليه وسلم–[٥٩]

١٠. إن بكاء موسى الذي ورد في حديث أنس: " فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي، لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي "[٦٠] ولم يكن بكاء موسى حسدا – معاذ الله– بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة.

١١. إن من المشاهد العظيمة التي شاهدها النبي – صلى الله عليه وسلم – في السماء السابعة سدرة المنتهى، وقد وصفها بأن ورقها كآذان الفيلة، وثمرتها كالقلال[٦١]. قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى، لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله[٦٢]. وقال الحافظ ابن كثير – وهو يذكر خصائص النبي –: " ومن ذلك أسرى به إلى سدرة المنتهى، ثم رجع إلى منزله في ليلة واحدة، وهذا من خصائصه" [٦٣]

المبحث الرابع: الدروس والفوائد المتعلقة بالآداب

١. إن أدب الاستيذان من الآداب العظيمة المحمودة شرعا وعقلا، هو مشروع بين أهل الأرض، وبين أهل السماء ؛ ولذلك ورد في رواية أنس: " فضرب جبريل بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا؟ [٦٤] قال الحافظ ابن حجر: " وفيه إثبات الاستيذان "[٦٥]

٢. إن قول رسولنا – صلى الله عليه وسلم – في حديث أنس: " فانطلق بي جبريل حتى آتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل ,ومن معك؟ قال: محمد"[٦٦] هذا الحديث يدل علي أن من حق صاحب الدار أو الساكن أن يقول للمستأذن من أنت! ومن معك ؟ وأنه ينبغي لمن يستأذن ان يقول أنا فلان، ولا يقتصر على أنا، لأنه ينافي مطلوب الاستفهام[٦٧].

٣. ويفهم من قصة الإسراء والمعراج بأن الشخص الذي يمر هو يسلم على الشخص الجالس، وإن كان الشخص المار أفضل من الشخص القاعد[٦٨].

٤. إنه ينبغي على المسلم أن يظهر الفرح والسرور لمن زاره، وأن يرحب به بألطف عبارة، وأرق إشارة، قالوا فمرحبا به، وأهلا" [٦٩]

٥. استبشار أهل السماء بقدوم النبي –صلى الله عليه وسلم– وفرحهم الشديد به " قالوا فمرحبا به و أهلا يستبشر به أهل السماء"[٧٠]. قال النووي: "وفيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم"[٧١]

المبحث الخامس: الدروس المتعلقة بالفضائل والفوائد العامة

١. إنه تجلى في هذه الحادثة موقف من مواقف الصديق الإيمانية – وما أكثره – مما يدل على أنه كان من أكمل الصحابة إيمانا وأشدهم تصديقا؛ لأنه بمجرد سماعه بهذه الحادثة لم يتردد ولم يتوقف بل قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق... قال أبو سلمة: فبها سمي أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – [٧٢]

٢. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما دخل الجنة رأى شيئا من مناقب بلال المؤذن، وهذا من فضائله – صلى الله عليه وسلم– ولذلك لما رجع من رحلته قال للناس قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا، ورد ذلك في حديث ابن عباس عند الإمام أحمد[٧٣].

٣. وثبت بدراسة هذا الموضوع بأن البيت المعمور موجود في السماء السابعة، و حسب ما ورد في الرواية الصحيحة أن عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه[٧٤]. وما يعلم جنود ربك إلا هو، وهو كعبة أهل السماء.

٤. إن مجرد هم المسلم بالحسنة دون أن يعملها تكتب له حسنة، وإذا عملها كتبت له عشر حسنات ؛ولذلك ينبغي على المسلم أن يهتم ويعزم دائما على عمل الخير حتى يكتب له ذلك الهم والعزم، وإن لم يتيسر له القيام بذلك العمل؛ ولذلك ورد في حديث المعراج ما نصه: "ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا"[٧٥]

٥. إنه ينبغي على المسلم إذا سأل ربه أن يلح في السؤال والدعاء، فإن الرب عز وجل يحب ذلك من عبده، فإنه كلما ألح وكرر وأكثر كان أقرب إلى الإجابة ؛ ولذلك لم يزل النبي – صلى الله عليه وسلم– يلح في سؤال ربه حتى خفف فرض الصلاة من خمسين إلى خمس، ولم يمنع النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الإلحاح في الطلب والسؤال من الرب إلا الحياء، "وقد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه"[٧٦].

٦. قال الإمام النووي ,إن من فوائد حديث الإسراء: هذا الحديث يدل على جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن على نفسه الإعجاب وغيره من الفتنة وأسبابها[٧٧]. وأخذ ذلك من ثناء الأنبياء –عليهم السلام– على النبي – صلى الله عليه وسلم– عند ملاقاته لهم.

٧. إن أحاديث الإسراء والمعراج تدل دلالة واضحه أن عدد السماوات سبع، وقد وردت نصوص قطعية من الكتاب والسنة تدل على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع طبقات، وكل طبقة من السماء والأرض منها من عجائب المخلوقات ما لا يعلمه إلا الله –عز و جل–.

٨. مشروعية تسبيح الله –عزوجل– في كل وقت وخاصة عند حدوث أمرعظيم؛ ولذلك صدر الله –عزوجل – قصة الإسراء بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده... ﴾ [الإسراء: ١] قال الشيخ محمد الأمين:" والتسبيح وإنما يكون عند الأمور العظام"[٧٨]

٩. قال القاضي عياض عند قوله في حديث المعراج: "ففتح لنا" [٧٩] وفي هذا أن للسماء أبوابا حقيقية حفظة موكلين بها[٨٠].

١٠. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – برؤيته البيت المعمور في السماء حيث عرج به جمع بين رؤية القبلتين[٨١].

١١. إن النبي–صلى الله عليه وسلم–في ليلة الإسراء مر بطيبة وأمره جبريل أن ينزل ويصلى فنزل، وصلى فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة[٨٢].

نتائج البحث:

من خلال هذا البحث والدراسة المتأنية حول هذا الموضوع وصلت إلى النتائج الآتية:

١. إن الإسراء والمعراج حادثان عجيبان خارقان للعادة لا يخضعان لنواميس الطبيعة، ولا تجري عليهما قوانين الأحداث الجارية بين الناس من أسباب ومسببات، وليس في مقدور البشر، الإتيان لمثلهما بل هما نسيج قدرة الله وإرادته لا يحدان بحدود ولا يقيدان بقيود، كما قال الله عز وجل:﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ [النحل: ٤٠]

٢. إن حادثة الإسراء اشتملت على رحلة أرضية لبيت المقدس ذكرها الله – تعالى– في بداية سورة الإسراء، وحادثة المعراج اشتملت على رحلة سماوية ذكرها الله تعالى في سورة النجم. فالذين يفتخرون بالصعود إلى الفضاء مهما وصلوا فلم ينفذوا من أقطار الأرض ولم يصلوا إلى السماء الأولى، ولكن المصطفى – صلى االله عليه وسلم – وصل إلى ما فوق السماوات العلى في جزء يسير من الليل.

٣. فقد ثبت الإسراء والمعراج بالقرآن، وكذلك بالأحاديث الصحيحة التي رواها الثقات العدول وتلقتها الأمة بالقبول.

٤. ذهب جمهور العلماء إلى أن حادثة الإسراء والمعراج كانتا في ليلة واحدة وأنهما كانتا في اليقظة بجسد النبي وروحه – صلى الله عليه وسلم–

٥. حدث الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة أو بسنتين، والمحققون من العلماء يرون: أنهما كانا في شهر ربيع الأول في الثاني عشر. والمشهور بين الناس في شهر رجب، و الأول هو الصحيح.

٦. وبالدراسة الفاحصة تتبين شمولية سيرة النبي وأن الحادثة الواحدة من حوادث سيرته يمكن لنا أن نستنبط منها الكثير من الدروس والفوائد التي تتعلق بالعقائد والفقه، والسيرة النبوية،والآداب والفضائل والفوائد العامة ونحو ذلك وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ [الأحزاب: ٢١]

المصادر والمراجع:

١– أبو شهبة، د.محمد بن محمد، *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، ج١، ط٢، (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٢م)ص ٤٠٨.

٢– انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصحاح*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، السيد الشربتلي ج٦، (القاهرة ط٣ ١٤٠٢هـ) ص ٢٢٧٦.

٣– *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، ج١، المرجع السابق، ص٤٠٨

٤– المرجع السابق، ص ٤٠٨.

٥- المرجع السابق، ص ٤٠٨.

٦- ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل، *تفسير القرآن العظيم* (بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٨هـ) ج٥، ص ٦٦.

٧- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، باب المعراج، ج٥ (استانبول: المكتبة الإسلامية د. ت.)ص ٦٦، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢، ص ٢٢٥-٢٢٣. ومن يريد التفصيل فليرجع إلى هذين الصحيحين.

٨- وروي عن ابن عباس أن المرئي هو الله سبحانه وتعالى، والأول هو الصحيح المعتمد، وعلى رأي ابن عباس فالآية دالة أيضا على المعراج؛ لأنه يرى أن ذلك كان ليلة المعراج.

٩- *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، المرجع السابق ص ٤٠٩.

١٠- ابن كثير، *تفسيرالقرآن العظيم*، المرجع السابق ج٨، ص ٩٦.

١١- والضمير في قوله: "فأوحى" عائد إلى جبريل وهو الظاهر المقبول ؛ لأنه المتحدث عنه قبل، وقيل عائد على الحق-تبارك وتعالى- هو بعيد مردود؛ لما فيه من تفكيك النظم الكريم، أما الضمير في "عبده" فهو راجع إلى الله سبحانه وتعالى فحسب. أي فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده -محمد- ما أوحى بواسطة جبريل. راجع: (*السيرة النبوية*، المرجع السابق ص٤١٠)

١٢- المرجع السابق، ص ٤١٠.

١٣- روى"فقدت" مبنيا للمعلوم، هى أدل على الوضع، وروى "فقد" بالمبني المجهول.

١٤- القاضي عياض، *الشفا في التعريف بحقوق المصطفى* (بيروت، دارالكتاب العربي،الطبعة العثمانية، ١٩٨٤م) ج١، ص ١٥٧-١٥٦.

١٥- *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، المرجع السابق، ص ٤١١.

١٦- البخاري، المرجع السابق، *كتاب التفسير*، سورة بني إسرائيل-الإسراء، باب وما جعلنا الرؤيا.

١٧- *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، المرجع السابق، ص ٤١٢.

١٨- الجوزي، ابن القيم، المرجع السابق، ج٢، طبعة أنصار السنةالمحمدية، ص ١٢٨.

١٩- *السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة*، المرجع السابق، ص ٤١٨.

٢٠- المرجع السابق، ص ٤١٨.

٢١- أبو العز، علي، تحقيق د. عبد الله التركي، *شرح العقيدة الطحاوية*، (بيروت: مؤسسة الرسالة) ج١ص ٢٧٧.

٢٢- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار الفكر، ط٢ ١٣٩٨هـ) باب الإسراء، ج١/ ص ١٤٧.

٢٣- *صحيح البخاري*، المرجع السابق، ٨٢ ص ٢٠٣

٢٤- القطان، مناع، *مباحث في علوم القرآن*، (بيروت: مكتبة المعارف، ط٣، ١٤٢١ه) ص ١

٢٥- *صحيح مسلم*، كتاب الإيمان، المرجع السابق، باب الإسراء، ج١، ص ١٤٩.

٢٦- البنا، أحمد عبد الرحمن، *الفتح الرباني*، (القاهرة: دار الشهاب) أبواب قصة الإسراء والمعراج، ج٢٠، ص ٢٥٧- ٢٥٦.

٢٧- أبو العز، علي، المرجع السابق، ج ٢ ص ٦١٤.

٢٨- *صحيح مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان باب الإسراء، ج١، ص ١٤٩.

٢٩- النووي، شرف الدين يحيى، *شرح صحيح مسلم*، (القاهرة: المكتبة المصرية) ج ٢، ص ٢٢٣.

٣٠- ابن القيم، *زاد المعاد*، تحقيق شعيب الأرناؤط وعبد القادر الأرناؤط، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ)ج ٣، ص ٣٧-٣٦،

٣١- *صحيح البخاري*، المرجع السابق، كتاب التوحيد ج ٨، ص ٢٠٤

٣٢- *ابن كثير*، المرجع السابق، ج ٣، ص٣. وانظر حول أوهام شريك في رواية أنس، زاد المعاد لإبن القيم ج ٣، ص ٤٣.

٣٣- *صحيح مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، ج ١، ص ١٤٨.

٣٤- *شرح العقيدة الطحاوية*، المرجع السابق، ج١، ص.٣١٧

٣٥- المرجع السابق ج١، ص٢٧٠.

٣٦- العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة د.ت.)، كتاب مناقب الأنصار باب المعراج ج ٧، ص٢٢١.

٣٧- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن* (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٣٣ هـ)، ج ١٠، ص ٣١٠.

٣٨- التويجري، الشيخ عبد الله بن عبد العزيز، *البدع الحولية*، (بيروت: موسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٣م) ص ٢٦٤.

٣٩- *صحيح مسلم* كتاب الإيمان ج١، ص ١٤٨.

٤٠- البعلي، أبو الحسن على بن محمد، *الإختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*، تحقيق محمد حامد الفقي (بيروت: دار المعرفة) ص ٤.

٤١- *صحيح مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء ج ١، ص ١٤٥

٤٢- *صحيح البخاري*، المرجع السابق، كتاب الصلاة، باب إذا دخل المسجد فليركع ركعتين، رقم: ٤٤٤.

٤٣- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *مجموع فتاوي*، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرياض: ط١، ١٣٩٨ه) ج ٢٦، ص ١٢٠.

٤٤- *صحيح مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء ج ١، ص ١٤٧.

٤٥- ابن جنبل، أحمد، *مسند الإمام* (بيروت: دار صادر) ج ٣، ص ١١٧.

٤٦- *صحيح مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء ج ١، ص ١٥٤.

٤٧- المرجع السابق ص ١٥٤.

٤٨- *النووي*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء ج ٢، ص ٢١٢.

٤٩- المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٣.

٥٠- إبن كثير،*الفصول في اختصار سيرة الرسول*، تحقيق محمد الخطراوي، ط ١ (بيروت: دار القلم ١٤٠٠ه) ص ٢٥٧-٢٥٨.

٥١- *صحيح البخاري*، المرجع السابق، كتاب التوحيد،باب وكلم الله موسى تكليما ج٨، ص ٢٠٣، رقم:٧٥١٧.

٥٢- *النووي*، المرجع السابق، كتاب الإيمان ج٢،ص٢١٥-٢١٦.

٥٣- *صحيح البخاري*، المرجع السابق، كتاب التوحيد، ج ٨، ص ٢٠٣ رقم: ٧٥١٧.

٥٤- *صحيح مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان ج ١، ص ١٤٥.

٥٥- *النووي*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، ج ٣، ص٣١٣-٣١٢.

٥٦- *العسقلانيي*، المرجع السابق، كتاب التفسير (باب أوحى إلى عبده ما أوحى) ج ٨، ص ٦١٠.

٥٧- ابن كثير، *المرجع السابق*، ج ٤، ص ٢٤٧.

٥٨- القرطبي، *المرجع السابق*، ج ١٠، ص ٢٠٥.

٥٩- العسقلاني، المرجع السابق، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ج ٧، ص ١٩٦.

٦٠- *البخاري*، المرجع السابق، باب المعراج، ج ٤، ص ٢٤٨.

٦١- *مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، ج ١، ص ١٤٦.

٦٢- النووي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٤.

٦٣- ابن كثير، *الفصول في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم*، المرجع السابق، ص ٢٥٨-٢٥٧.

٦٤- *البخاري*، المرجع السابق، كتاب التوحيد، ج ٨، ص ٢٠٤.

٦٥- العسقلاني،*فتح الباري*، المرجع السابق، باب المعراج، ج٧، ص ٢١٧.

٦٦- *البخاري*، المرجع السابق، باب المعراج، ص ٣٤٨.

٦٧- العسقلاني، *فتح الباري*، المرجع السابق، باب المعراج، ج ٧ ص ٢١٧.

٦٨- المرجع السابق، ص ٢١٧.

٦٩- *النووي*، المرجع السابق، ج ٢ ص ٢١٢.

٧٠- *البخاري*، المرجع السابق، كتاب التوحيد، ج ٨، ص ٤٠٤.

٧١- *النووي*، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٢.

٧٢- البيهقي، أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة* لأبي بكر أحمد بن الحسين، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية،ط ١، ١٤٠٥ هـ) ج ٢، ص ٣٦٠.

٧٣- البنا، أحمد بن عبد الرحمن، المرجع السابق، أبواب قصة الإسراء والمعراج، ج ٢٠، ص ٢٥٥ -٢٥٤.

٧٤- *مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان ج ١، ص ١٤٦.

٧٥- النووي، المرجع السابق، كتاب الإيمان، ج ٨، ص ٣١٥-٣١٤.

٧٦- *البخاري*، المرجع السابق، كتاب التوحيد، ج ٨، ص ٢٠٥.

٧٧- النووي، المرجع السابق،كتاب الإيمان، ج ٢ ص ٢١٣.

٧٨- الشنقيطي، الأمين بن محمد بن المختار، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*،(جده: مجمع الفقه الإسلامي) ج ٣، ص ٢٩١.

٧٩- *مسلم*، المرجع السابق، كتاب الإيمان، ج ١، ص ١٤٥.

٨٠- النووي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٢.

٨١- العسقلاني، المرجع السابق، باب المعراج، ج ٧، ص ١٩٧.

٨٢- النسائي، أحمد بن شعيب، *سنن النسائي*،كتاب الصلاة، (بيروت: المكتبة العلمية د. ت) ج١،ص ٢٢-٢٢١.

المؤلف المراسل

يمكن الاتصال بـمحمد رشيد زاهد على :mrzahed1@yahoo.com